إرغام المبتدع الغبي

بجواز التوسل بالنبي

للإمام المحدث الأصولي الشريف
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

ويليه الرد على الألباني المسمى
ببيان نكث الناكث المعتدي بتضعيف الحارث
لمحدث المغرب السيد عبد العزيز الغماري الحسني

قدّم لهما وعلّق عليهما حسن بن علي السقاف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الإمام النووي

الأردن / عمّان ص.ب ٩٢٥٣٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص سيدنا محمداً بالرسالة واجتباه ، فتوسلنا واستغثنا به الى من اختاره واصطفاه ، وجعله افضل الخلق بالكمال ، بما جمّله به من الجلال والجمال ، واختاره وبعثه لاظهر كلمة الحق بعد ان مدَّ الضلال رُواقه ، فلم يزل بإعزاز الشرع قائما ، ولساعات زمانه في طلب رضا الله قاسما ، لا ينحرف عن مقاصد الصواب ولا يميل ، ولا يخلّي مطايا جَدِّه في تقوية الدين مما يتابع فيه الرسيم والذميل ، الى ان ازال عن القلوب صدأ الشكوك وجلا ، وأجلى مسعاه عن كل ما اودع نفوس احلاف الباطل والحاقدين وجلا ، ومضى وقد اضاء للايمان هلال أمِن سراره ، وانتضى لابادة الشرك حساما لا ينبو قط غراره ، فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، ورضي عن صحابته المنتخبين ، صلاة يتصل الاصيل فيها بالغدوّ ، ونرى قيمتها في الاجر وافية العلو .

أما بعد :

فالتوسل والاستغاثة والتشفع بسيد الانام ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مصباح الظلام ، من الامور المندوبات المؤكدات ، وخصوصا عند المدلهمّات ، وعلى ذلك سار العلماء العاملون ، والاولياء العابدون ، والسادة المحدِّثون ، والائمة السالفون ، كما قال السبكي فيما نقل عند صاحب فيض القدير (١٣٥/٢) : ويحسن التوسل والاستعانة[1] والتشفع بالنبي الى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف ولا من الخلف ... أهـ .

حتى نص السادة الحنابلة في مصنّفاتهم الفقهية على استحباب التوسل بسيِّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا ذلك عن الامام احمد انه استحبه كما في كتاب الانصاف فيما ترجح من الخلاف (٤٥٦/٢) وغيره ونقل ابن كثير في البداية (٤٥/١٤) ان ابن تيمية أقرّ أخيرا في المجلس الذي عقده له العلماء العاملون الربانيون

---

(١) وقد تصحفت وصوابها الاستغاثة أهـ .

المجاهدون بالتوسل واصر على انكار الاستغاثة . مع انه يقول في رسالة خاصة له في الاستغاثة بجوازها بالنبي فيما يقدر عليه المخلوق .

واعتمد الامام الحافظ النووي استحباب التوسل والاستغاثة في مصنفاته كما في حاشية الايضاح على المناسك له (ص ٤٥٠) و (ص ٤٩٨) من طبعة اخرى وفي شرح المهذب المجموع (٨/٢٧٤) وففي الاذكار (ص ٣٠٧) من طبعة دار الفكر في كتاب اذكار الحج وص (١٨٤) من طبعة المكتبة العلمية وهو مذهب الشافعية وغيرهم من الأئمة المرضيين المجمع على جلالتهم وثقتهم وإني أود ان أسرد بعض الادلة من الاحاديث الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين وائمة الحفاظ والمحدثين ، والتي لم تضرها محاولة تلاعب المتلاعبين في الطعن في اسانيدها ، وغير ذلك من طرق التلاعب والتدليس التي بينتها ومثلت عليها في بهجة الناظر في الفصل الرابع . ولا يُعرف الحق كما هو معلوم بالجعجعة وكثرة الكلام ونفخ الكتب بتكثير عدد الصفحات وانما يعرف الحق بالبراهين العلمية ، والادلة الواضحة الجلية ، وان كانت قليلة العبارات ، فهي كثيرة التعبيرات والاشارات ، وقد ارشد الى ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً) .

وإني ابدأ بعرض بعض أدلة التوسل ثم أُردفها بأدلة الاستغاثة المندوبة التي ارشدت اليها السُّنة الغراء فأقول :

أدلــة التوســل :

(١) حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما من ان الناس يتوسلون بسيد الانام عند اشتداد الامر عليهم يوم القيامة ويستغيثون به ولو كان التوسل والاستغاثة من الكفر والشرك لم يشفع النبي للناس يومئذ ولا يأذن الله له بالشفاعة للمشركين والكفار على زعم من يُكَفِّر عبادَ الله بالآلاف ، ويحاول تهييج العامة والسُذَّج على من اظهر كفر من قال بقدم العالم المجمع على كفر قائله ومعتقده ، وايضا لو كان التوسل شركاً أو كفراً لبيَّنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما اخبر اصحابه بحديث الشفاعة . فلما لم يكن كفراً بنص

الاحاديث المتواترة كان امراً مندوباً اليه في الدنيا والآخرة لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومن قال ان التوسل والاستغاثة كفر في الدنيا ليس كفراً في الآخرة قلنا له : إن الكفرَ كفرٌ سواء كان في الدنيا او في الآخرة . قبل موته صلى الله عليه وسلم وبعد موته لا فرق . وان ادَّعيت الفرق فأت لنا بدليل شرعي مخصص مقبول معتبر .

(٢) حديث سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال :

(إن رجلا ضريراً اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال : إن شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه . فأمره ان يتوضأ ويُحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شَفِّعه فيّ . قال سيدنا عثمان : فعاد وقد أبصر) .

رواه الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم وأقرّه الذهبي والبيهقي بالاسانيد الصحيحة . وللحديث تتمة صحيحة تأتي في (ارغام المبتدع الغبي) .

(٣) حديث سيدنا علي رضي الله عنه وكرّم وجهه :

أنَّ سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما قال : اللهم بحقي وحق الانبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي» رواه الطبراني والحاكم مختصراً وابن حبان وغيرهم وفي اسناده روح بن صلاح قال الحاكم ثقة وضعفه بعضهم والحديث صحيح .

(٤) وروى الامام البخاري في صحيحه :

«ان سيدنا عمر رضي الله عنه استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن قوله توسلا به : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم وإنا نتوسل اليك بعم نبينا قال فيسقون» .

وفي الحديث اثبات التوسل به صلى الله عليه وسلم وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيت ومن غيرهم . كما قال الحافظ في فتح الباري (٢/٤٩٧) .

وأما أدلة الاستغاثـــة :

(١) فما روى البخاري في صحيحه وغيره من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث الشفاعة بلفظ :

«ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده اهل الجمع كلهم» .

وهذا صريح في الاستغاثة وهي عامة في جميع الاحوال ، مع لفت النظر أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يبلغه سلام من يسلم عليه وكلام من يستغيث به لان الاعمال تُعرض عليه كما صح فيدعو الله لاصحاب الحاجات .

(٢) روى الامام احمد بسند حسن كما قال الامام الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٧٩/٨) عن الحارث بن حسان البكري رضي الله عنه قال :

خرجت انا والعلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث وفيه ـــ فقلت ـــ اعوذ بالله وبرسوله ان أكون كوافد عاد ، قال ـــ اي سيدنا رسول الله ـــ وما وافد عاد ؟ وهو اعلم بالحديث ولكنه يستطعمه ... الحديث .

وقد استغاث الرجل بالله وبرسوله ولم يكفّره سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خالف الالباني ذلك فكفّر كل مستغيث به صلى الله عليه وسلم كما في توسله ص ٧ الطبعة الثانية وقلده في هذه البدعة اصحابه والمتعصبين له وانكروا على من كفّر من العلماء مثبت قدم العالم نوعاً ومن قال بالحد والجهة والاستقرار وغير ذلك من طامات نسأل الله لهم الهداية وان يردهم الى دينه والى الحق رداً جميلا . وان يخلصهم من أهوائهم وعنادهم الذي بنوه على سوء فهم كبيرهم الذي علمهم السحر او فساد قصده وقد يجتمعان .

(٣) قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعمى الصحيح عندما علم الرجل ان يقول : «يا محمد إني اتوجه بك الى الله» . في كل زمان ومكان .

وهذه استغاثة صريحة ، وقد اعتمدها العلماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة حاثين الامة عليها .

(٤) جاء في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قص على اصحابه قصة السيدة هاجر هي وابنها في مكة قبل ان تبنى الكعبة بعد ان تركهما سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي ما قصّه أنها لما سمعت صوتا عند الطفل قالت : «إن كنت ذا غوث فأغث» فاستغاثت فاذا بجبريل عليه السلام فغمز الارض بعقبه فخرجت زمزم .

ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم أنها كفرت كما يزعم الالباني ولم ينبه ان تلك الاستغاثة منها كفر البتة . وهي تعلم ان صاحب الصوت لن يكون رب العالمين المنزه عن الزمان والمكان .

وهناك ادلة كثيرة بجواز التوسل والاستغاثة وندبهما افردتها برسالة خاصة اسميتها (الاغاثة بأدلة الاستغاثة) وقد اقتصرت هنا على بعضها وفيها بيان لمن القى السمع وهو شهيد هذا اذا كان قلبه نظيفا لا يحب رمي عباد الله بالشرك بمجرد مخالفتهم لمزاجه وأراد اقتفاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وأختم الاستدلال ببيان مسألة هامة جداً وهي استدلال أخير على التوسل والاستغاثة من احد الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واقرار الباقين من الصحابة له وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٤٩٥/٢) حيث قال : روى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن ابي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال : اصاب الناس قحط شديد في زمن عمر فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأُتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر واقرئه السلام واخبره أنهم يسقون» اسناده صحيح وقد ضعف هذا الاثر الصحيح الالبانى بحجج أوهى من بيت العنكبوت في توسله ص (١١٩ ــ ١٢١) وزعم ان مالك الدار مجهول . ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن ابي حاتم فقط ليوهم قُراءَه انه لم يرو عنه الا رجل واحد وهو ابو صالح السمان ، وقد تقرر عند الألباني بما ينقله عن بعض العلماء من غير المتفق عليه ان الرجل يبقى مجهولاً حتى يروى عنه اثنان فأكثر . ثم

قال لينصر هواه ان المنذري والهيثمي لم يعرفا مالك الدار فهو مجهول ولا يصح السند لوجود مجهول فيه ثم تبجح قائلا : وهذا علم دقيق لا يعرفه الا من مارس هذه الصناعة . ونحن نقول له بل هذا تدليس وغش وخيانة لا يدريه الا من امتلأ قلبه حقداً وعداءً على السنة والتوحيد واهلهما . وقد تبعه على هذا الغش والتدليس وزاد عليه احد الأغبياء المتعصبين اللاهثين وراء بريق الدراهم في كتاب له ملأه من هذه البضاعة . تخيل فيه انه رد التوسل وهيهات وهو لم يقرأ العلوم وخاصة ملحة الاعـراب على احد ولم يكن له في حياته استاذ يهُذِّب او شيخ يُدَرِّب الا التلقي من صفحات دفاتر هذا الألباني. ونقول في بيان نسف ما قاله الألباني من جهالة مالك الدار:

اذا صرح المنذري والهيثمي بأنهما لا يعرفانه فنقول للباحث عن الحق اذن لم يصرّحا بتوثيق له او تجريح لانهما لا يعرفانه . لكن هناك من يعرفه وهم ابن سعد والبخاري وعلي ابن المديني وابن حبان والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم . فهل يا الباني يُنقل كلام من عرفه أم كلام من جهله ؟ !! . العجيب ان الالباني يُحبذ كلام من جهل حاله ويختاره ويفضله على كلام من علم حاله الذي يستره الالباني ولا يحب ان يطلع عليه احد . وما سأنقله من اقوال الائمة الحفاظ الذين عرفوه في توثيقه كاف في اثبات ما يقوله السيد عبدالله الغماري وغيره من المحدثين والمشتغلين في علم الحديث من ان الالباني يعرف الصواب في كثير من الامور لكنه غاش مدلس خائن مضلل لا يؤتمن على حديث واحد . وقد صرح بذلك كثير من اهل العلم كالسيد احمد الغماري والسيد عبدالله والسيد عبد العزيز المحدثون والشيخ عبد الفتاح ابو غدة والمحدث حبيب الرحمن الأعظمي محدث الهند والباكستان والشيخ اسماعيل الانصاري والشيخ محمد عوامة والشيخ محمود سعيد والشيخ شعيب الارناؤوط وغيرهم عشرات من اهل هذا الفن والمشتغلين به . فأهل الحديث شهدوا بأن هذا الرجل لا يعتمد كلامه في التصحيح والتضعيف لانه يصحح ويضعف حسب الهوى والمزاج وليس حسب القواعد العلمية ومن تتبع اقواله وما يكتبه تحقق ذلك .

ويكفيني ان اقول في مالك الدار ان ابن سعد قال في الطبقات (١٢/٥) : مالك الدار مولى عمر بن الخطاب روى عن ابي بكر وعمر ثم قال وكان معروفاً .

وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة في ترجمته ترجمة رقم (٨٣٥٦) :

له إدراك اي انه معدود من الصحابة ويكفيه في ذلك توثيقا ثم ذكر أنه روى عنه اربعة رجال وهم ابو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي . ثم قال : قال علي بن المديني : كان مالك الدار خازناً لعمر أهـ بمعناه ملخصاً .

وبذلك نعلم ان سيدنا عمر وسيدنا عثمان قد وثقاه اذ قد ولياه بيت مال المسلمين وفي ذلك اقوى توثيق له ايضاً .

وقد نقل الحافظ الخليلي في كتابه الإرشاد (/) الإتفاق على توثيق مالك الدار فقال هناك : «متفق عليه أثنى عليه التابعون» .

فقـد ذهب كلام الألبـاني هباءً وللموضوع توسع في رسالة لنا خاصة اسميناها بالباهر. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حسن بن علي السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الاكرمين ، ورضي الله عن صحابته والتابعين .

وبعـــد ،

فإن الشيخ الالباني سامحه الله تعالى صاحب غرض وهوى ، اذا رأى حديثاً او اثرا لا يوافق هواه فإنه يسعى في تضعيفه بأسلوب فيه تدليس وغش[1] ، ليوهم قُراءه انه مصيب ، مع انه مخطىء بل خاطىء غاش ، وبأسلوبه هذا ضلل كثيرا من أصحابه الذين يثقون به ويظنون انه على صواب ، والواقع خلاف ذلك .

ومن المخدوعين به من يدعى حمدي السلفي[2] الذي يحقق المعجم الكبير ، فقد أقدم بجرأة على تضعيف أثر صحيح لم يوافق هواه كما لم يوافق هوى شيخه[3] وكان كلامه في تضعيفه هو كلام شيخه نفسه .

فأردت ان ارد الحق الى نصابه ، ببيان بطلان كلام الخادع والمخدوع به ، وعلى الله اعتمادي ، واليه تفويضي واستنادي .

روى الطبراني في المعجم الكبير (١٧/٩) من طريق ابن وهب عن شبيب عن روح بن القاسم عن ابي جعفر الخطمي المدني عن ابي أمامة بن سهل بن حنيف عن

---

(١) كما ضعف الأثر الصحيح الذي قال عنه ابن حجر العسقلاني في الفتح (٢ / ٤٩٥) : روى ابن ابي شيبة بإسناد صحيح عن ابي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال : «اصاب الناس قحط شديد في زمن عمر ، فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله استسق لامتك فإنهم قد هلكوا ، فأتي الرجل في المنام فقيل له ائت عمر واقرئه السلام وأخبرهم انهم يسقون» ضعفه الالباني بجهالة مالك الدار مع انه ثقة بإجماع الصحابة وغيرهم زمن سيدنا عمر وسيدنا عثمان رضي الله عنهما ولم يجرحه أحد البتة وغير ذلك مما بسطناه في غير هذا الموضع فهذا الاثر صحيح وقد ضعفه الألباني لأنه مخالف لهواه بحجج واهية غير مقبولة حسب الموازين العلمية ، فتأمل .

(٢) وقد أساء هذا المقلد غاية الاساءة في ترجمة الحافظ احمد الغماري في مقدمة تعليقاته على (فتح الوهاب بتخريج احاديث الشهاب) فاتهمه وبهته بما هو بريء منه .

(٣) مع انه من المعلوم المقرر لا يجوز التصحيح والتضعيف الا من الحافظ كما هو في كتب المصطلح .

عمه عثمان بن حنيف رضي الله عنه : أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت اليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي عثمان بن حنيف فشكا اليه ذلك ، فقال له عثمان بن حنيف : ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد ، فصل فيه ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد اني اتوجه بك الى ربي فتقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، ورح إلي حتى أروح معك . فانطلق الرجل فصنع ما قال له ، ثم اتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة ، وقال له ما حاجتك فذكر حاجته ، فقضاها له ، ثم قال : ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فائتنا .

ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف ، فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت اليَّ حتى كلمته فيّ . فقال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أوَ تصبر ؟ فقال : يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد شق علي . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات» قال عثمان بن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث ، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط» .

صححه الطبراني ، وتعقبه حمدي السلفي بقوله : لا شك في صحة الحديث المرفوع ، وانما الشك في هذه القصة التي يستدلّ بها على التوسل المبتدع ، وهي انفرد بها شبيب كما قال الطبراني ، وشبيب لا بأس بحديثه ، بشرطين ان يكون من رواية ابنه احمد عنه ، وان يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد . والحديث رواه عن شبيبٍ ابنُ وهب وولداه اسماعيل واحمد ، وقد تكلم الثقات في رواية ابن وهب عن شبيب ، في شبيب ، وابنه اسماعيل لا يعرف ، وأحمد وان روى القصة عن ابيه الا انها ليست من طريق يونس بن يزيد ، ثم اختلف فيها على احمد ، فرواه ابن السني في عمل اليوم والليلة والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصة ، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصري عن روح بن القاسم به ، قال شيخنا محمد

ناصر الدين الالباني : وعون هذا وان كان ضعيفا فروايته اولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن ابي جعفر الخطمي .[٤]أهـ .

وفي هذا الكلام تدليس وتحريف نُبيِّنه فيما يلي .

(اولا) :

هذه القصة رواها البيهقي في دلائل النبوة[٥] من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا

---

(٤) وفي هذا الكلام من الالباني كتمان تمام ما رواه وذكره الحاكم في المستدرك (٥٢٦/١) : والقول فيه قول شبيب فإنه ثقة مأمون أ هـ ، فكتم الالباني هذا ورمى خصومه بكتم ما فيه عكس مصالحهم كما يدعي ، كما فعل مثلاً في مقدمته الجديدة التي اسفرت عن اخلاقه في آداب زفافه الذي خالف فيه الحديث والاجماع . سهل الله الرد عليه قريباً .

(٥) انظر دلائل النبوة بتحقيق القلعجي (١٦٦/٦ ــ ١٦٨) وقد اورد البيهقي في الدلائل (١٦٧/٦) القصة اولا من طريق اسماعيل بن شبيب حدثنا ابي عن روح بن القاسم ثم (ص ١٦٨) ثم ثنّى بذكر ان القصة مروية من طريق احمد ابن شبيب ، وقال : وهذه زيادة الحقتها به في شهر رمضان سنة اربع واربعين . فتكون القصة مروية عند البيهقي في الدلائل من طريق احمد بن شبيب عن ابيه عن روح ، وقد صحح الحاكم في المستدرك (٥٢٧/١) هذا السند على شرط البخاري واقره على ذلك الذهبي ، وهو الموافق لكلام الحافظ في التقريب (٢٧٣٩) طبعة محمد عوّامة) : لا بأس بحديثه من رواية ابنه احمد عنه ...

وقول الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري (ص ٤٠٩) : قلت : اخرج البخاري من رواية ابنه عن يونس احاديث . ولم يخرج من روايته عن غير يونس ولا من رواية ابن وهب عنه شيئاً . أهـ .

أقول : وقول الحافظ : (ولم يخرج من روايته عن غير يونس احاديث) ليس تصريحا من الحافظ بضعف رواية شبيب عن غير يونس ولا إشارة كما توهم الألباني واستنبط في (التوسل انواعه وأحكامه ٨٧ الطبعة الثانية) لوجوه :

١) انه اراد ان يدفع عن رواية شبيب في البخاري اي شائبة طعن لانه ذكر عن ابن عدي ان روايته عن يونس مستقيمة وقد وقعت في البخاري عن يونس وهي المشهود لها بالصحة والاستقامة ولم تقع عن غيره ، فليس في ذلك كله اي طعن اشارة او تصريحاً برواية شبيب عن غير يونس ، وانما المراد بيان اقوى رواياته واكثرها استقامة هي التي وقعت في البخاري . وأما قول الحافظ : (ولا من رواية ابن وهب عنه شيئاً) فمراده انه لما نقل الطعن في رواية ابن وهب عن شبيب بأن فيها مناكير اراد ان يُبرِّىء روايته في البخاري من طريق ابن وهب عنه ، فلما ذكر الحافظ ان رواية شبيب من طريق ابن وهب عنه منكرة ، ولم ينقل في روايته عن غير يونس الايلي طعن اتتضح المراد الذي قررناه ، والذي يوافق :

٢) ما ذكره الحافظ في التقريب عنه ، انه اذا روي الحديث من طريق ابنه احمد عنه فهو لا باس به .

٣) ان الحفاظ كالحاكم والذهبي حكموا على رواية احمد بن شبيب عن ابيه عن روْح بأنها على شرط ◀

احمد بن شبيب[٦] بن سعيد ثنا أبي عن روح بن القاسم[٧] عن ابي جعفر الخطمي عن ابي امامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فذكر القصة بتمامها .

ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الامام الثقة ، بل هو فوق الثقة ، وهذا اسناد صحيح .

البخاري ، ومعنى ذلك انها صحيحة وهذا الذي يوافق كلام الحافظ ، ويبطل ما استنبطه الالباني من كلام الحافظ في مقدمة فتح الباري فليتأمل .

٤) ان الحفاظ ايضا صححوا هذه القصة ، كالمنذري في الترغيب والترهيب (٤٧٦/١) باقراره للطبراني ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٢) ايضا ، وقبلهما الامام الحافظ الطبراني في معجمه الصغير (٣٠٧/١ الروض الداني) وغيرهم .

٥) انه لم ينقل الالباني عن حافظ واحد انه نص على تضعيف القصة مع ملاحظة ان هؤلاء الحفاظ من الائمة الاعلام كالمنذري والهيثمي وغيرهما لم ينصوا على ان هذا بدعة او شرك ، بل ذكروها في ابواب صلاة الحاجة ناصّين على التصحيح مقرين له ، غير معقبين عليه بالضعف والنكارة او الشرك والبدعة كما فعل الالباني القاصر في هذا العلم .

٦) وقد تقرر في علم المصطلح اتفاق الحفاظ على عدم جواز التصحيح والتضعيف لغير الحافظ ، ولا عبرة بقول أمثال الالباني الذين هم ليسوا حفاظاً ولم يتلقوا هذا العلم عن أهله ، فهل نصغي للأئمة الحفاظ اهل هذا الشأن ام الى الالباني الذي ظهر خطله ؟! .

وبهذا كله يسقط قول الالباني في توسله ص ٨٨ حيث قال : ومن عجائب التعصب واتباع الهوى ان الشيخ الغماري اورد روايات هذه القصة في المصباح ص ١٢ ــ ١٧ .. ثم لم يتكلم عليها مطلقاً لا تصحيحا ولا تضعيفا والسبب واضح ، اما التصحيح فغير ممكن صناعة واما التضعيف فهو الحق ولكن ...) أهـ كلامه بشينه ومينه ، وقد تبين ان التصحيح هو الصحيح الثابت صناعة وان التضعيف هو لتعصب الالباني واتباع هواه وما يوحيه اليه شيطانه ، وبان ان هذه الوصمة هي صفة الالباني وليست صفة الامام الحافظ المحدث الحجة سيدي عبد الله والحمد لله . تماماً كما قالوا : «رمتني بدائها وانسلت» .

(٦) احمد بن شبيب قال الذهبي في الميزان (١٠٣/١ ــ ١٠٤) : صدوق ، ثم نقل عن الأزدي أنه قال منكر الحديث ، ثم رد عليه وقال : قلت : قد وثقه ابو حاتم أ هـ ، قلت : وهو من رجال البخاري كما في الجمع (١٠/١ ــ ١٨) .

(٧) قال الحافظ في التقريب (١٩٧٠ طبعة محمد عوامّة) : ثقة حافظ من رجال البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه .

فالقصة صحيحة جداً ، وقد وافق على تصحيحها ايضا الحافظ المنذري في الترغيب (ج ٢/٦٠٦)[٨] والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٧٩) .

(ثانيا) :

احمد بن شبيب من رجال البخاري ، روى عنه في الصحيح وفي الأدب المفرد ، وثقه ابو حاتم الرازي وكتب عنه هو وأبو زُرعة ، وقال ابن عدي : وثقه أهل البصرة وكتب عنه علي ابن المديني[٩] .

وأبوه شبيب بن سعيد التميمي الحَبَطي البصري ابو سعيد من رجال البخاري ايضاً[*] روى عنه في الصحيح وفي الادب المفرد . وثقه ابو زرعة وابو حاتم والنسائي والذهلي والدارقطني والطبراني في الاوسط . قال ابو حاتم : كان عنده كتب يونس بن زيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال ابن عدي : ولشبيب نسخة الزهري عنده عن يونس عن الزهري أحاديث مستقيمة .

وقال ابن المديني : ثقة كان يختلف في تجارة الى مصر وكتابه كتاب صحيح ، هذا ما يتعلق بتوثيق شبيب ، وليس فيه اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد ، بل صرح ابن المديني بأنه كتابه صحيح . وابن عدي انما تكلم على نسخة الزهري عن شبيب فقط ، ولم يقصد جميع رواياته ، فما ادعاه الالباني تدليس وخيانة .

يؤكد ذلك ان حديث الضرير صححه الحفاظ ولم يروه شبيب عن يونس عن الزهري !!

وانما رواه عن روْح بن القاسم ، ودعواه ضعف القصة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السني والحاكم ، لون آخر من التدليس[١٠] لان من

---

(٨) في الطبعة الواقعة في ٤ مجلدات في (١ / ٤٧٦) .

(٩) انظر تهذيب التهذيب (١/٣١ ــ ٣٢) .

(*) وقد انغرّ كاتب متعصب بكلام الالباني في اكتوبة اسماها بالزهر ص ٧٩ بان شبيب متكلم في حفظه كما أوهم كلام بعضهم في التهذيب ٤/٢٧٠ فأبان عن غباء وتدليس .

(١٠) ولا شك ان تدليسه على الطلبة والضعفاء في هذا الفن له الوان واشكال .

المعلوم عند اهل العلم ان بعض الرواة يروي الحديث وما يتصل به كاملاً ، وبعضهم يختصر منه ، بحسب الحاجة . والبخاري يفعل هذا ايضا ، فكثيراً ما يذكر الحديث مختصراً او يوجد عند غيره تاما . والذي ذكر القصة في رواية البيهقي إمام فذ يقول عنه ابو زرعة الدمشقي : قدم علينا رجلان من نبلاء الناس احدهما وارحلهما يعقوب بن سفيان[١١] يعجز اهل العراق ان يرو مثله رجلا .

وتقديمه رواية عون[١٢] الضعيف على من زاد القصة ، لون ثالث من التدليس والغش .

فإن الحاكم روى حديث الضرير من طريق عون مختصراً ثم قال : تابعه شبيب ابن سعيد الحبطي عن روْح بن القاسم زيادات في المتن والاسناد ، والقول فيه قول شبيب فإنه ثقة مأمون ، هذا كلام الحاكم ، وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والاصول ان زيادة الثقة مقبولة ، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ[١٣] . والألباني رأى كلام الحاكم لكن لم يعجبه لذلك ضرب عنه صفحاً ، وتمسك بأولوية رواية عون الضعيف عناداً وخيانة[١٤] .

(ثالثاً) :

تبين مما اوردناه وحققناه في كشف تدليس الالباني وغشه ان القصة صحيحة جداً رغم محاولاته وتدليساته وهي تفيد جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله ، لان الصحابي راوي الحديث ، فهم ذلك ، وفهم الراوي له قيمته العلمية ، وله وزنه في مجال الاستنباط .

وانما قلنا ان القصة من فهم الصحابي ، على سبيل التنزل ، والحقيقة ان ما فعله عثمان بن حنيف من ارشاده الرجل الى التوسل ، كان تنفيذاً لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت في حديث الضرير .

---

(١١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣٣٨/١١) .

(١٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٥٤/٨) .

(١٣) كما تقرر عند الحفاظ واهل الشأن .

(١٤) كما ضرب صفحاً عن ترجمة مالك الدار في الاصابة وطبقات ابن سعد وثقات ابن حبان وكم لذلك من اشباه .

قال ابن ابي خيثمة[١٥] في تاريخه : حدثنا مسلم بن ابراهيم[١٦] ثنا حماد بن سلمة[١٧] أنا ابو جعفر الخطمي[١٨] عن عمارة بن خزيمة[١٩] عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه : ان رجلا اعمى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني أُصبت في بصري فادع الله لي قال :

«اذهب فتوضأ وصلّ ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني استشفع بك على ربي في رد بصري اللهم فشفعني في نفسي وشفع نبيي في رد بصري وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» اسناده صحيح .

والجملة الاخيرة من الحديث تصرح بإذن النبي صلى الله عليه وسلم في التوسل به عند عروض حاجة تقتضيه .

وقد أعلّ ابن تيمية هذه الجملة بعلل واهية . بينت بطلانها في غير هذا المحل[٢٠] ، وابن تيمية جريء في رد الحديث الذي لا يوافق غرضه . ولو كان في الصحيح[٢١] .

---

(١٥) هو الحافظ الحجة الثقة احمد بن ابي خيثمة زهير بن حرب النسائي ابو بكر الحافظ ابن الحافظ ، قال الداقطني ، ثقة مأمون . انظر سير اعلام النبلاء (٤٩٢/١١) .

(١٦) من رجال الستة ، انظر تهذيب التهذيب (١٠٩/١٠) .

(١٧) في التقريب (١٤٩٨) ثقة عابد . من رجال مسلم والاربعة .

(١٨) اسمه عمير بن يزيد بن عمير ترجمته في التهذيب (١٣٤/٨) . وهو ثقة .

(١٩) ترجمته في التهذيب (٣٦٤/٧) وهو ثقة .

(٢٠) بينها في كتابه (مصباح الزجاجة ــ طبعة عالم الكتب ص ٣٧) ودحض كلام ابن تيمية ومنه يتبين سقوط كلام الالباني في (توسله ص ٨٣) حيث اعترض على الشيخ وانه وضع القاعدة التي جلبها من نخبة الفكر في غير محلها . والحمد لله .

(٢١) او صحيحا في غير صحيح البخاري ومسلم : كحديث السيدة عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم : «كان يقصر الصلاة في السفر ويتم ويفطر ويصوم» قال الدراقطني : هذا اسناد صحيح . وانظر سنن البيهقي (١٤٢/٣) والجوهر النقي اسفل الصحيفة للتركماني ، فقال ابن القيم في زاد المعاد : وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول : هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
أفاده السيد عبدالله في كتابه الصبح السافر (ص ٣٧) فانظره . وتأمل . وفي لسان الميزان (٣١٩/٦) ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة يوسف بن الحسن الرافضي ، ان ابن تيمية رد احاديثاً جياداً وغير ذلك .

مثال ذلك : روى البخاري في صحيحه حديث : «كان الله ولم يكن شيء غيره وهو موافق لدلائل النقل والعقل والاجماع المتيقن . لكنه خالف رأيه في اعتقاده قدم العالم ، فعمد الى رواية للبخاري ايضا في هذا الحديث بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله» فرجحها على الرواية المذكورة ، بدعوى انها توافق الحديث الآخر «انت الاول فليس قبلك شيء» .

قال الحافظ ابن حجر[٢٢] : مع ان قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه الرواية على الاولى لا العكس ، والجمع مقدم على الترجيح بالاتفاق . أ هـ . قلت : تعصبه لرأيه اعماه عن فهم الروايتين اللتين لم يكن بينهما تعارض ، لأن رواية «كان الله ولم يكن شيء قبله» تفيد معنى اسمه الاول بدليل «انت الاول فليس قبلك شيء» ورواية «كان الله ولم يكن شيء غيره» تفيد معنى اسمه الواحد بدليل رواية «كان الله قبل كل شيء» .

مثال ثان : حديث امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب علي عليه السلام ، حديث صحيح ، أخطأ ابن الجوزي بذكره في الموضوعات . ورد عليه الحافظ في القول المسدد [٢٣] . وابن تيمية لانحرافه عن علي عليه السلام كما هو معلوم . لم يكفه حكم ابن الجوزي . بوضعه فزاد من كيسه حكاية اتفاق المحدثين على وضعه ، وامثلة رده للاحاديث التي يردها لمخالفة رأيه كثيرة يعسر تتبعها .

(رابعاً) :

ونقول على سبيل التنزّل : لو فرضنا ان القصة ضعيفة تطيباً لخاطر الالباني ، وان رواية ابن ابي خيثمة معلولة كما في محاولة ابن تيمية[٢٤] ، قلنا في حديث توسل

---

(٢٢) في فتح الباري (١٣/٤١٠) .

(٢٣) القول المسدد (طبعة عالم الكتب ص ١٠ ــ ١١) .

(٢٤) اي لو سلم ذلك جدلا ، مع كون ادعاء ضعف القصة وما اشبه ذلك باطلاً قطعاً .

الضرير كفاية وغناء ، لان النبي حين علم الضرير ذلك التوسل ، دل على مشروعيته في جميع الحالات . ولا يجوز ان يقال عنه : توسل مبتدع ، ولا يجوز تخصيصه بحال حياته صلى الله عليه وسلم ، ومن خصصه فهو المبتدع حقيقة لانه عطل حديثا صحيحاً وابطل العمل به ، وهو حرام .

والالباني عفا الله عنه جريء على دعوى التخصيص والنسخ لمجرد خلاف رأيه وهواه .

فحديث الضرير لو كان خاصاً به ، لبينه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما بين لابي بردة ان الجذعة من المعْز تجزئه في الاضحية ولا تجزىء غيره ، كما في الصحيحين . وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز[٢٥] .

« اعتذار وجوابه »

قد يقال : الداعي الى تخصيص الحديث بحال حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما فيه من ندائه ، وهو عذر مقبول .

والجواب : ان هذا اعتذار مردود[٢٦] ، لانه تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم تعليم التشهد في الصلاة ، وفيه السلام عليه بالخطاب ونداؤه (السلام عليك ايها النبي) وبهذه الصيغة علمه على المنبر النبوي ابو بكر وعمر[٢٧] ، وابن الزبير ومعاوية ، واستقر عليه الاجماع كما يقول ابن حزم[٢٨] وابن تيمية[٢٩] والالباني لابتداعه خالف هذا كله ، وتمسك بقول ابن مسعود ، فلما مات قلنا السلام على النبي ، ومخالفة التواتر والاجماع ، هي عين الابتداع .

---

(٢٥) كما هو مقرر في الاصول .

(٢٦) كما وضح ذلك المصنف في كتابه (القول المقنع في الرد على الالباني المبتدع (ص ١٣ ــ ١٨) فلينظر فإنه مهم .

(٢٧) كما ثبت ذلك بالاسانيد الصحيحة في الموطأ ومصنف ابن ابي شيبة ومصنف عبد الرزاق ومعاني الآثار .

(٢٨) كما في الفصل في النحل لابن حزم (٨٩/١) .

(٢٩) في كتابه الجواب الباهر .

مع انه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعمالنا تعرض عليه[٣٠] ، وكذلك صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم ، تعرض عليه ، وثبت ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغونه سلام امته ، وثبت بالتواتر والاجماع ان النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره[٣١] ، وان جسده الشريف لا يبلى ، فكيف يمتنع مع هذا نداؤه في التوسل به[٣٢] وهل هو الا مثل ندائه في التشهد ! .

ولكن الالباني عنيد شديد العناد ، والالبانيون عندهم عناد ، وصلابة في الرأي ، أخبرني بذلك عالم الباني حضر علي في تفسير البيضاوي وشرح التحرير لابن امير الحاج ، وكان وديعا هادىء الطبع ، وهو تلميذ لي .

---

(٣٠) كما جاء في الحديث الصحيح : «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم» وهو من رواية سيدنا عبد الله بن مسعود ، واوله : «ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام» ثم قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حياتي ...) الحديث . قال العراقي في طرح التثريب : اسناده جيد أهـ . اي صحيح .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال اسناده رجال الصحيح أهـ .

وقال السيوطي في الخصائص الكبرى : اسناده صحيح وكذا علي القاري والخفاجي ، وقد جمع الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٨٥/١١) بينه وبين حديث (انك لا تدري ما احدثوا بعدك) ونقل الجمع عن نحو خمسة من الحفاظ ، فانظره .

(٣١) انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر (طبعة دار الكتب العلمية) ص ١٣٥ ، حديث رقم (١١٥) حياة الانبياء في قبورهم .

(٣٢) قال العلامة ابن حجر الهيتمي في قصيدة له شرحها الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي :

تواترت الأدلّةُ والنُقول ... فما يحصي المصنف ما يقول
بأنَّ المصطفى حيٌّ طريٌّ ... هلالٌ ليس يَطْرُقُهُ أُفولُ
وأنَّ الجسم منه بقاعٍ لَحْدٍ ... كَوَرْدٍ لا يُدَنِّسُهُ الذبولُ
وأنَّ الهاشميَّ بكل وصف ... جميلٍ لا يغيره الحلول
ويسمعهم اذا صلوا عليه ... بأُذْنَيْهِ فقصِّر يا ملول
ومن لم يعتقد هذا بطه ... يقينا فهو زنديق جهولُ
عبيدٌ هيتميٌّ مستجيرٌ ... بِمَن حُطَّتْ بساحتِهِ الحُمولُ

وجاء في حديث اوس بن اوس مرفوعا : «ان الله حرم على الارض اجساد الانبياء» وهو حديث صحيح رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم .